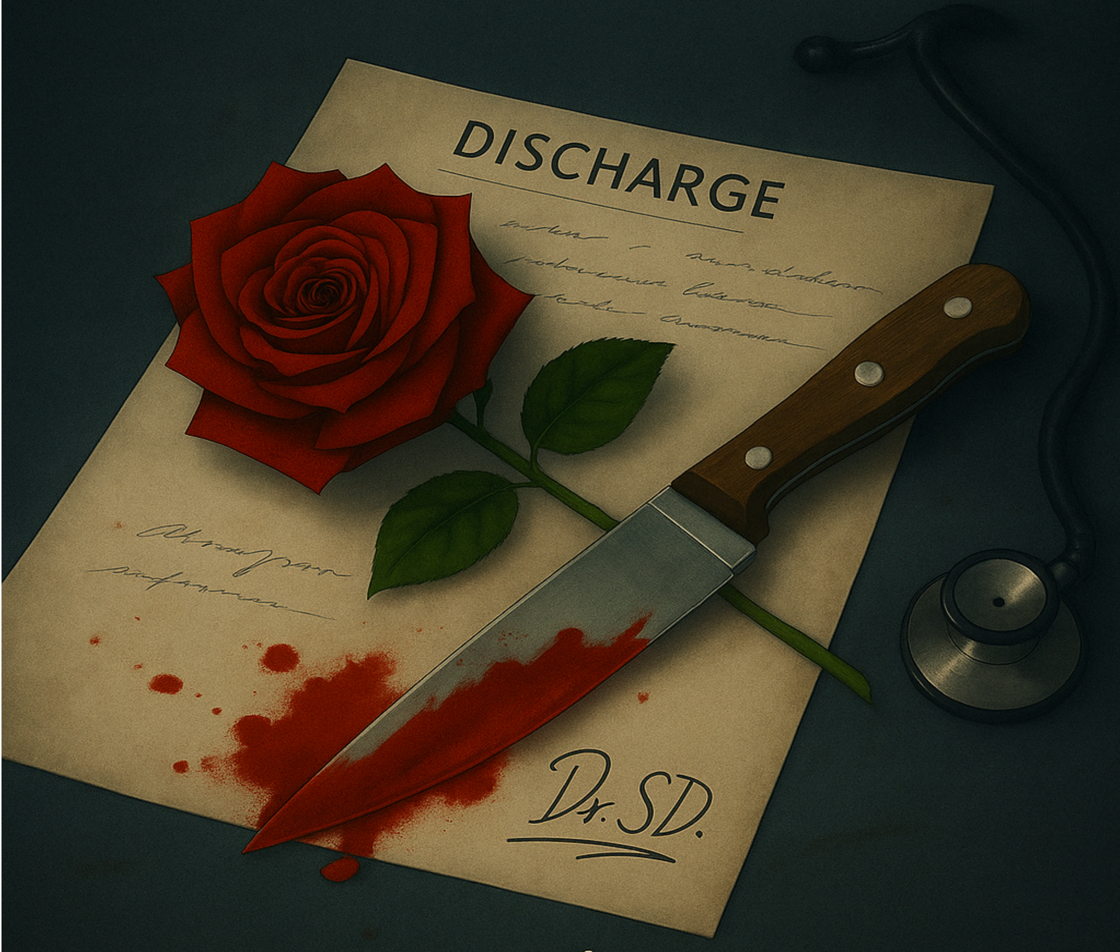
ONE FLOWER IS ENOUGH



anovibeme

الاهداء

إلى أولئك الذين رأوا الصمت لغة،

والانتظار فعلًا،

والخوف مساحة لا تُقال.

هذه ليست حكاية...

بل احتمال، قد يحدث، إن تأملنا جيدًا.

ملاحظة من الهامش

يحدث أن تكون منهكًا، لا تقوى على فعل شيء، ومع ذلك، لديك بعض المسؤوليات أمامك، لا تستطيع التخلي عنها ببساطة. وفي ظل هذه الحرب، أنت تستهلك نفسيًا وجسديًا وحتى فكريًا، وهذا يجعلك تشعر بعجز. أمام هذا الترتيب، ما تفعله يبدو لك أنه بدون جدوى. ما جدوى؟ ما هدفك؟ ماذا تريد أنت؟ ما يريح بالك؟ لن يكون السداد بعدم الفعل، وليس السداد بفعل نفس الشيء بنفس الطريقة كل مرة، لتصبح مجرد روتين ممل لا نتيجة له. من الخطأ أن تقوم بالأمر بنفس الطريقة كل مرة وتنتظر نتيجة مغايرة. في اعتقادي أن الطريقة التي ننظر بها إلى

الحياة هي من تحدد أين الحل. خذ الأمور ببساطة، كثيرًا ما نعقّد الأمور لإرضاء شيء ما بداخلنا.

زهرة واحدة تكفي


الفصل الأول
زهرة واحدة تكفي
NoVibeme

1 - الصمت الاول

لم تصرخ. حين أمسك بها من بين الضباب, لم تصرخ.

ليس لأنها لم تشعر بالخوف, بل لأنها شعرت بشيء آخر...

شيء أبرد من الخوف.

كأنها كانت تنتظر شيئاً يحدث, أي شيء يقطع رتابة الأيام التي تشبه بعضها.

رأته وهو يسقط. جرح في كتفه. عينان لا تطلبان شيئاً.

لا ألم, لا رجاء. فقط صمت... صمت ثقيل لا يزول.

"اجلس... سأرى الجرح", قالتها دون أن يضطرب صوتها.

نظرت إليه. لم تتراجع.

هو... تردّد. لحظة واحدة.

ربما كانت خدعة. ربما ستقتله. لكنه رأى عينيها.

هادئتين. فارغتين من الخوف. فارغتين من أي شيء آخر.

جلس.

ترك جسده بين يديها.

وكان هشاً, أكثر مما ظن.

***


المسافة
NoVibeme

2- المسافة

كان البيت ضيقاً، لكنه لا يخنق.

ربما لأن الصمت فيه لم يكن عدوانياً، ولا ثقيلاً... بل كأنه جدار شفاف لا يسمح بالاقتراب، ولا يمنع تماماً.

هي لم تحاول الهرب. وهو لم يحاول أن يُخيفها.

حتى القيود... لم تكن موجودة.

كان بوسعه أن يغلق الباب بالمفتاح، أن يُعاقبها إن فكرت، أن يرفع صوته ليؤكد سلطته. لكنه لم يفعل.

هي كانت تمشي في الغرفة بحرية نسبية. تنام على الكنبة، تقرأ كتاباً وجدته في الزاوية، تقطع تفكيرها كل مرة بسؤال لا تسأله:

"لماذا؟"

لماذا لم يُقيدها؟ لماذا لم يسأل شيئًا؟ لماذا هذا الصمت الطويل؟

لكنه كان يراقب. من بعيد أحياناً. ومن قريب, دون أن يُشعرها, أحياناً أخرى.

وكانت تراقبه. لكنها لا تسأله شيئًا.

شخص غريب, له خطوات محددة, رتيبة. قهوته, سيجارته, نافذته, صمته.

لم يبدُ عليه الجنون. ولا بدا كمن يخطط لشيء. هو فقط... كان هناك.

يأكل قليلاً. ينظف وراءه. ولا يرفع صوته أبداً.

وحين ينام، يترك الباب مفتوحاً، لكنه يضع سكيناً تحت الوسادة.

ليس كتهديد. بل كعادة... تعني له الأمان، لا العنف.

"هل كنت ستستخدمه... إن خرجت؟"

لا يبدو كذلك. لو أراد الأذى، ما ترك الباب.

الأذى لا ينتظر إذناً.

لكنه ترك لها المخرج.

وهذا وحده... كان يكفي.

وذات ليلة، حين كانت تنظر إلى السقف في العتمة، سأل فجأة:

"هل تخافين؟"

لم ترد. لا لأنه لا يستحق الرد، بل لأن السؤال بدا ناقصاً.

ثم قال، بصوت منخفض:

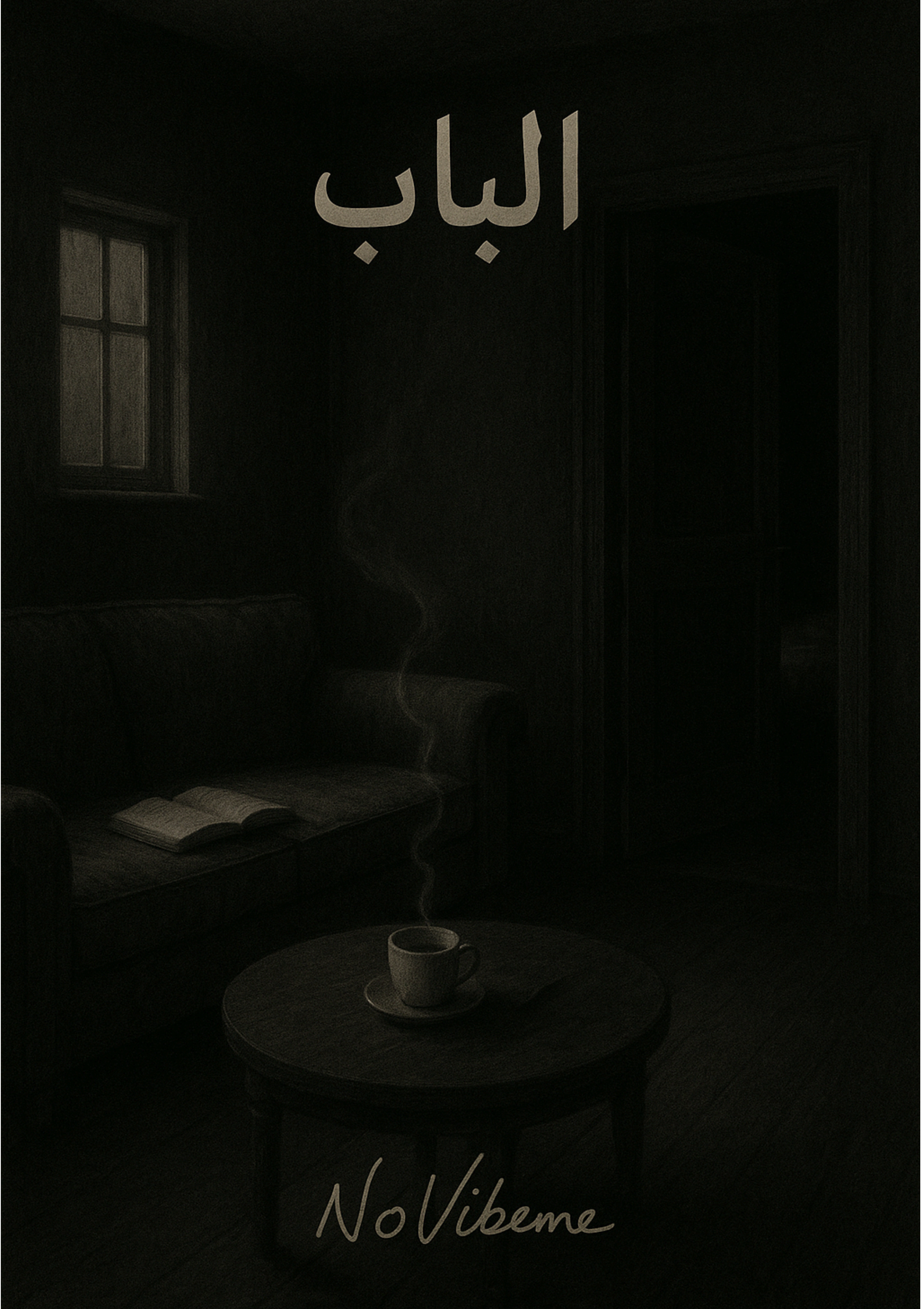
"أعرف أنك تخافين.

لكني... لم أعد أخاف."

قالها كأنه يشرح، لا كأنه يفتخر. كأنه يتذكّر.

"أعرف هذا الارتباك... مررت به.

ثم تجاوزته. أو مات فيّ، لا أعلم."


الباب
NoVibeme

3- الباب

كانت الأيام تُعيد نفسها دون صوت.

الأكل خفيف، لكنه موجود. البيت بارد في الليل، لكن له إيقاعاً خاصاً. وهو... لا يقترب كثيراً. ولا يبتعد تماماً.

كأنهما عالقان في مساحة مؤقتة، لا تشبه الأسر، ولا تشبه الحرية. يتبادلان نظرات قصيرة، كأن كل منهما يفحص الآخر من خلف زجاج لا يريد كسره.

لم تكن تعرف ماذا يريد. ولم يكن يسألها أي شيء. لكن شيئاً في حضوره كان متماسكاً... أكثر مما يبدو. كل حركة محسوبة. كل صمت كأنه اختبار. كأنه لا يثق بالعالم، لكنه لا يريد أن يكون جزءاً منه أيضاً.

كانت تراقبه يحضّر قهوته كل صباح، بنفس الطريقة، نفس الخطوات. يغلي الماء. يضيف القهوة قبل أن تغلي. ثم يجلس عند النافذة... يدخّن.

رائحة السجائر كانت تضايقها. وهو لاحظ. لم يقل شيئاً، لكنه بدأ يبتعد قليلاً عند التدخين. لم يكن اعتذاراً صريحاً... بل محاولة لتقليل الضرر، على طريقته.

وفي لحظة ما، خطرت لها فكرة ساذجة... أن تنصحه بالإقلاع. لكنها حين نظرت إلى عينيه، فارغتين، مشوّشتين، كأنهما تبحثان عن باب لا يُفتح، قالت لنفسها:

"لا يبدو كشخص يريد الحياة... كيف سيسمعني إن تحدّثت عنها؟"

وفي تلك الليلة، خرج.

وسمعت الباب.

لكن شيئاً غاب...

صوت القفل.

لم تصدّق.

انتظرت لحظات.

ثم قامت.

سارت نحو الباب بخطى لا تُشبه الحذر، بل تُشبه الحلم الذي قد ينقلب كابوساً عند اللمسة الأخيرة.

يدها على المقبض.

صوت زرير الباب وهو يفتح.

انفتح!

وقفت.

الهواء البارد من الخارج دخل في عظامها قبل أن يدخل الغرفة.

رائحة الأرض المبلولة.

صوت شجرة تتحرك وحدها.

شيء يشبه العالم الذي كان هناك قبل أن يُسحب من تحتها.

الهواء ما زال يدخل من الباب.

لكنه لا يشبه الهواء الذي كانت تعرفه. لا يحمل رائحة المدينة, ولا يحمل معها أي وعد.

هل هذا فخ؟

هل تركه مفتوحاً ليرى ماذا ستفعل؟

لم تكن متأكدة. لكنه تركه.

هي تعرف. الرجل الذي يفكر كثيراً, الذي لا يضع كوباً دون أن ينظر حوله, لم ينسَ الباب.

تركه.

هو, من اعتاد أن يُغلق كل شيء... ترك لها المخرج.

لماذا؟

هل خاف أن يُقتل, أن يُطارد, أن لا يعود؟

أم أنه خاف أن تُحبس هي هنا, وحدها, دون أن تعرف كيف تهرب من لا شيء؟

وقفت طويلاً.

جسدها ثابت, لكن الداخل... يتحرك.

ثم، كأن الفكرة هجمت عليها من طفولتها، تذكّرت.

حين كانت تشاهد تلك المسلسلات، تُحب البطلة التي تُخطف.

تحسدها.

تقول لنفسها:

“ليتني أنا... أريد أن أعيش شيئاً كهذا.”

ضحكت داخلياً. ضحكة مشوّهة.

“احذر مما تتمنى... إن لم تكن مستعداً له.”

القدر... يسمع. لكن لا يهمّه إن كنت ناضجاً كفاية لتفهم اللعبة.

الهواء ما زال يدخل من الباب.

لكنها لم تخطُ خطوة واحدة نحوه.

ليس لأنها خائفة فقط، بل لأنها لم تتخيل قطّ، أن يُبقي لها من بدا كأنه خاطف... الباب مفتوحاً.

أغلقت الباب بهدوء.

ببطءٍ يُشبه فهماً متأخراً.

وجلست.

نظرت إلى المكان. ثم إلى اللاشيء.

لم تكن كما كانت.

وهذا كافٍ.

***

العودة



NoVibeme

4- العودة

في المساء... عاد.

لم يفتح الباب بالمفتاح. لم يحدث صوت. كأنه عاد بصمت... مثل من لا يريد أن يوقظ شيئاً بداخله.

وحين دخل، لم يخلع معطفه مباشرة.

وقف عند الباب، يمرر أصابعه على حافة الجدار، ثم على المقبض... كأنما يتأكد أن كل شيء ما زال هنا.

ثم تنفّس بصوت خافت، كأنه يختبر الهواء.

لكنها لم تذهب إلى الباب. لم تقف خلف الستائر. لم تختبئ خلف شيء.

جلست مكانها، تقرأ كتاباً لم تفهمه تماماً. أو توهم نفسها بذلك.

لكنه لم يكن كتاباً فقط، كان حاجزاً صغيراً، كأنها تقول لنفسها:

"لن أركض."

رأسها ثابت، لكن أذنيها كانت هناك.

صوت خطواته. الصمت الذي يسبق الدخول.

دخل.

لم يكن في عينيه السؤال المعتاد.

ولم تكن في عينيها الإجابة.

كانت تجلس كأنها لم تنتظر، لكن حضورها كان أوضح من أي ترقّب.

هو... توقّف لحظة. ثم دخل دون كلمة.

في يده كيسان.

واحد فيه كتب. قديمة، بالية، أطرافها تميل نحو التمزق، لكنها نظيفة. كأن أحداً غسلها من ماضٍ لا يخصه.

والآخر... زهور. لا تلمع، لا تنتصب. بعضها مائل الرأس، كأنها وصلت، لكنها لم تعد تملك ما يكفي من قوة للوقوف.

وضعهما على الطاولة.

بهدوء يشبه التبرير، دون تبرير.

لم يقل شيئاً.

لم ينظر إليها بحثاً عن رد فعل.

لكنه كان يراقب، بطرف العين، كأن كل حركة منها إشارة تحتاج إلى ترجمة.

قامت.

اقتربت.

أخذت زهرة، واحدة فقط، وضعتها في كوب ماء كان بجانب المدفأة.

ثم عادت.

لم تنظر إليه.

لكنه شعر بها.

ابتسم بخفة.

ابتسامة صغيرة جداً.

كأنها خرجت من شخص آخر يسكنه, ويطل أحياناً.

جلس على الكرسي المقابل.

مدّ يده نحو كتفه. حيث كان الجرح.

نفس اليد التي نزفت هنا, على نفس الطاولة.

هي نظرت إليه, ثم قالت فجأة:

"ذلك الجرح... يؤلمك أحياناً, صحيح؟"

لم يتحرك.

ثم، دون أن يلتفت تماماً، قال:

"نسيت أمره تقريباً... حتى سألتِ."

ابتسم بعدها، لا بسخرية، بل بشيء يشبه الامتنان المشوش.

سأل، بصوت منخفض كأنه لا يريد إزعاج اللحظة:

"هل ما زلتِ تكتبين في دفترك؟"

أومأت برأسها.

سأل، بعد صمت ثقيل:

"هل... تكتبين عني؟"

نظرت إليه. طويلاً هذه المرة.

لم يكن في عينيها خوف، ولا فضول.

كان فيهما شيء آخر.

شيء لا اسم له.

ثم قالت:

"أكتب عمّا لا أفهمه بعد."

سكت.

لكنه فهم.

ربما للمرة الأولى، أدرك أن البيت تغيّر.

وهي أيضاً.

هو لم يعد يحتاج إلى مراقبتها.

وهي لم تعد تحتاج إلى تفسير كل شيء.

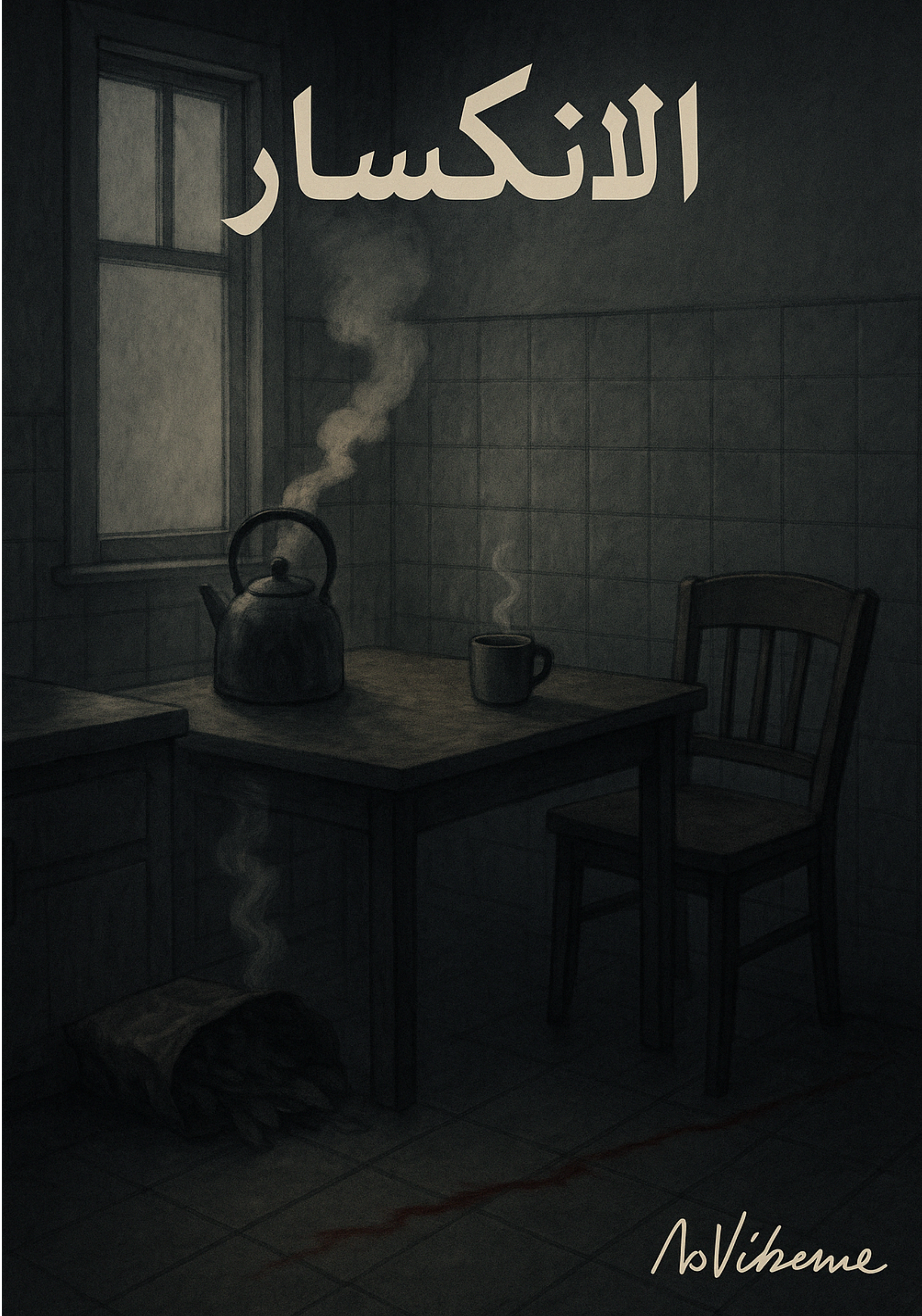
الصمت بينهما لم يكن خواءً.

بل سطر لم يُكتب بعد.

والباب... ما زال هناك. مفتوحاً، ربما.

لكن لا أحد ينظر إليه.

***


الانكسار

5- الانكسار

في الصباح، لم تفتح عينيها فوراً.

الضوء رمادي، كأنه مرّ عبر طبقة من الغبار.

الغرفة باردة، الأثاث قليل، لا يشبه منازل، بل يشبه انتظاراً طويلاً بلا شكل.

جسدها على الأريكة، لكن عقلها لم يكن هنا.

كان هناك، حيث لا يمكن التأكد من أي شيء.

ثم، كأن الفكرة قفزت دون وعي منها:

"من يطعم قطتي الآن؟"

السؤال بدا تافهاً... لكنه لم يذهب.

ربما كان أول صوت داخلي... ليس عنها, بل عن الخارج.

تتحرك في البيت بحرية.

لكن هذه الحرية, لا تشبه الحرية التي اعتادتها.

كأن الجدران نفسها تراقبها, تعرف ما يُسمح, وما لا يُقال.

وفي المطبخ, كانت تغلي الماء.

ليس من أجل القهوة — فقط من أجل الحركة.

كأنها تُقلّد رتابته لتفهمه.

كأنها تحاول الإمساك بشيء لا يتوقف.

ثم, وهي تُراقب البخار يصعد, همست بصوت هش:

"هذا الصمت... لم يكن صمتاً حين بدأ."

ثم نظرت حولها — لا شيء يتحرك.

وكأن البيت كله... ينتظر معها.

تماماً كما كان ينتظر هناك — في قاعة المستشفى،

نفس الضوء الرمادي، نفس الأسئلة المعلقة على الجدران...

لكن في تلك المرة، هي التي قالت:

"إنه ليس خطراً."

هو كان هناك.

جالس، يحدق في كوب القهوة لكن لا يشرب.

عند قدميه، خيط دم.

الجرح القديم... عاد.

لم يتأوّه. لم يتحرك.

لكن عينيه كانتا تُحدقان في الجدار كأن فيه شيئًا يهرب.

ثم، فجأة، بصوت منخفض، ووجه غير واضح:

"هل تشربين الحليب؟"

قالها كأنها لا تخص اللحظة، كأنها خرجت من زمن آخر...

أكثر بساطة، أكثر وحدة.

هي لم تجب.

ربما لأنها لم تفهم، أو لأنها لم تكن مستعدة لشيء يشبه الدفء.

ثم تمتم بعدها، بصوت بدا كأنه يتذكّر، لا يتكلم:

"قالت... إنه ليس خطراً. ووقّعت."

الكلمات خرجت مشوشة, كأنها لم تُخلق للعلن.

لكنها وصلت.

وصلت إليها بطريقة يصعب شرحها.

كطبيبة, عرفت وزن الجملة.

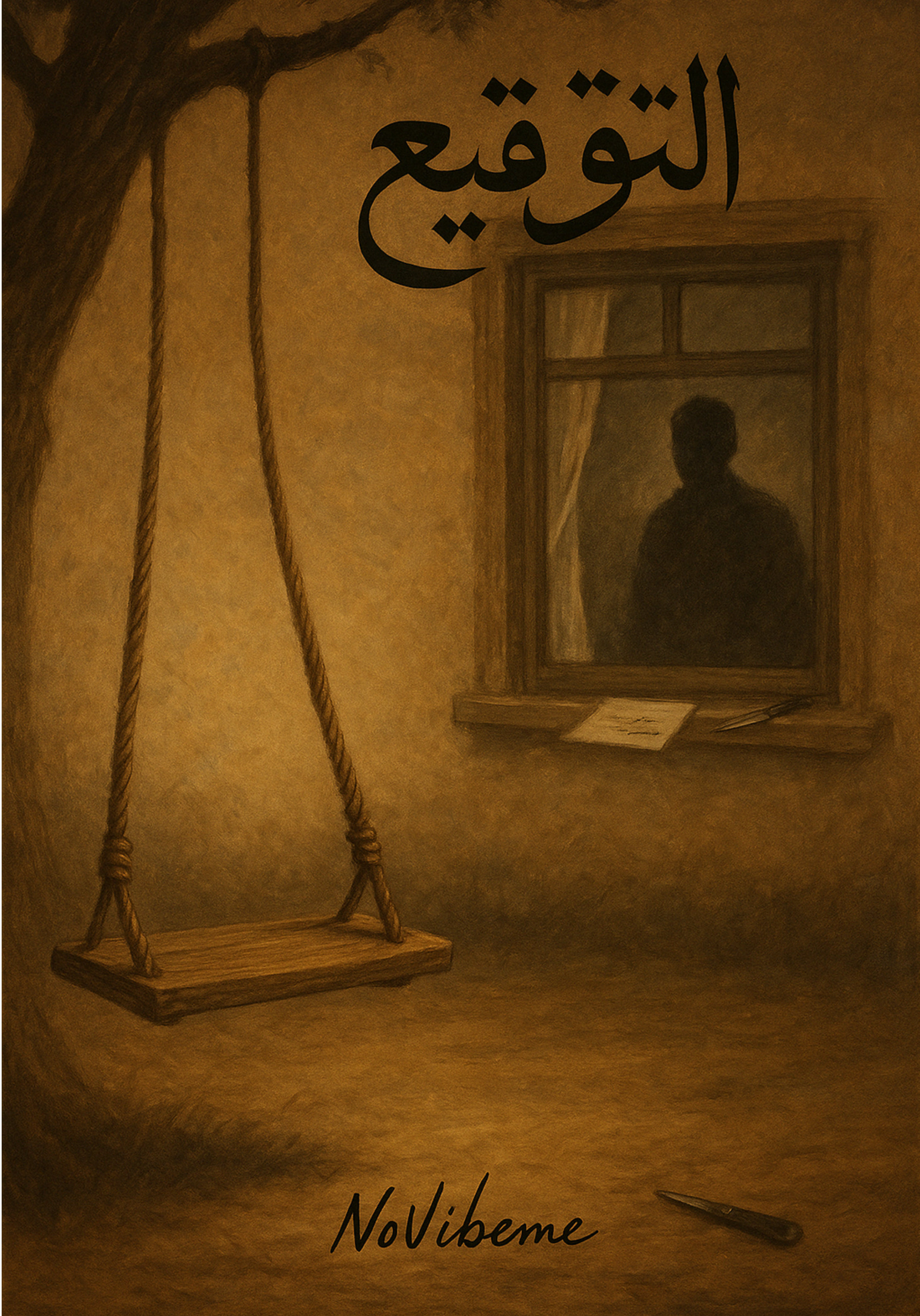
كأن فيها تقريراً... وُقّع, وتحوّل إلى شيء لا يُسترد.

رفعت نظرها إليه, لا لتسأله, بل لأن الجملة نفسها... لم تذهب.

لم يقل شيئاً بعدها.

لكنها شعرت, لأول مرة, أن ما حدث بينهما... قد لا يكون الشيء الأهم.

***


التوقيع
NoVibeme

6- التوقيع

حين خرجت, لأول مرة منذ أيام, لم يكن الهواء مختلفاً.

ولا السماء أفتح.

لكن شيئاً فيها... كان أقل وزناً.

مرّت بجانب النافذة التي كانت تراقب منها الأرجوحة.

نفس الخشبة المهتزّة, نفس السلاسل التي تصدر صوتاً معدنياً خافتاً كلما مرّت عليها نسمة.

اقتربت.

وضعت يدها عليها.

ثم جلست.

الأرجوحة تأرجحت قليلاً.

كانت يدها تمسك الحبل أكثر مما تدفعه.

لم تكن تلهو.

كانت تحاول أن تتذكر.

طفولتها.

شخص ما كان يسحبها عالياً, ثم يتركها... فتضحك.

لكن الوجه غير واضح.

الصوت بعيد.

تأرجحت مرة أخرى.

ثم توقفت.

وراء الستار، من خلف الزجاج... كان يراقبها بصمته المعتاد.

لم يتقدّم.

لم يرد أن يشوّه تلك اللحظة.

لكنه لم يراقبها كما كان يراقبها من قبل.

في المرات الأولى، كانت هدفاً.

اسماً في تقرير.

صورة في ذاكرته.

شيء أراد أن يفهمه... أو يُدينه.

هو لم يخترها عبثاً.

كان يراقبها منذ أشهر.

يعرف أوقاتها, مواعيدها, ذلك التوقيع الذي سقط على الورقة, وتسبب في خسارة أحدهم.

لم يكن يخطط لتعليمها درساً, بل كان يبحث عن يقين.

إن ثبتت إدانتها — لن يتردد.

هذا ما قاله لنفسه حين راقبها آخر مرة خارج المستشفى.

لكنها, في تلك الليلة, لم تكن مذنبة.

البراءة لا تنطبق عليها تماماً.

والذنب, أيضاً, لا يلتصق بها كما أراده.

كانت... إنسانة فقط.

وحين نزف جرحه أمامها, لم تتراجع.

لم تسأل من هو.

لم ترتبك كضحية, ولم ترتفع كمنقذة.

فقط جلست. نظرت. وخاطت جلده كما يُخاط صمت ثقيل.

يدها... كانت رفيعة.

لم تكن يداً تحمل شيئاً واضحاً.

لكنها... تركت أثراً غريباً في جلده.

شيء لم يكن جزءاً من خطته.

ومنذ تلك اللحظة, تشوّه الداخل.

لم يعد متأكداً تماماً.

يريد الحقيقة, نعم.

لكنه الآن لا يعرف إن كانت الحقيقة وحدها... كافية.

--

كانت لا تزال في الخارج، وهو في الداخل... ساكناً.

يُراقب من خلف الزجاج. لا يتحرك. لا يُشير.

فقط يترك المسافة تعمل.

وعندما عادت — لم يُبادر.

سمع خطواتها تدخل ببطء، كأنها تتلمس المكان من جديد.

كأن كل شيء عاد يتحرك، لكنه لا يعرف بأي اتجاه.

لم تلتفت إليه.

كانت تظنه نائماً. أو لا تهتم.

اقتربت من الطاولة.

يدها لم تكن تبحث... لكنها وجدت.

الورقة.

كلمات قليلة, كما هي عادة التقارير.

لكنها كانت كافية لفتح بابٍ لم تتخيله مفتوحاً.

تجمدت.

الورقة... كانت من المستشفى الذي تعمل فيه.

وتاريخها... يعود إلى ما قبل فقدان ذاك الشاب بأيام.

لم تكن قد ربطت الأشياء.

لكن الورقة... ربطت كل شيء.

فجأة, شعرت أن كل ما حدث... كان قادماً من هناك.

من توقيع. ومن تفسير لم يُشرح.

أما هو، فبقي في مكانه.

عيناه مغمضتان.

جسده ساكن، كأنه لا يشارك اللحظة. لكنه لم يكن نائماً.

هو يعرف هذه الورقة.

يعرف حبرها، توقيعها، وتاريخها.

تركها هناك عمداً، لا كفخ، بل كمرآة.

لم يرَ خطواتها، لكنه توقّعها.

لم يطلب المواجهة، ولم يمنعها.

هو لم يكن ينتظر اعترافاً.

بل شيئاً... يشبه التذكّر.

أو الندم.

أو حتى النفي.

لكنه, الآن, لا يعرف إن كان ما يراه... يقربه مما أراد, أو يبعده عنه.

ثم مشت هي ببطء.

جلست على حافة الأريكة, وبقيت تنظر إليه.

الصمت بقي سيد اللحظة.

لكن تحت جلدها, كان هناك ارتجاف لا يُعبّر عنه.

ثم جملة قالتها من قبل... عادت إلى رأسها:

"إنه ليس خطراً."

وقتها كانت فقط تقوم بعملها.

لكن الآن... الجملة كانت أثقل.

كأنها تعرفت، فجأة، على وزنها الحقيقي.

ولم تكن قادرة على تفسيره.

السكين على الطاولة.

النافذة نصف مفتوحة.

والورقة... ما زالت هناك.

في الخارج، كانت الأرجوحة ما تزال تتحرك، ببطء، كأنها تسجّل ما لا يُقال.

أما في الداخل، فبدا أن أحدهم... قرر ألا يتراجع.

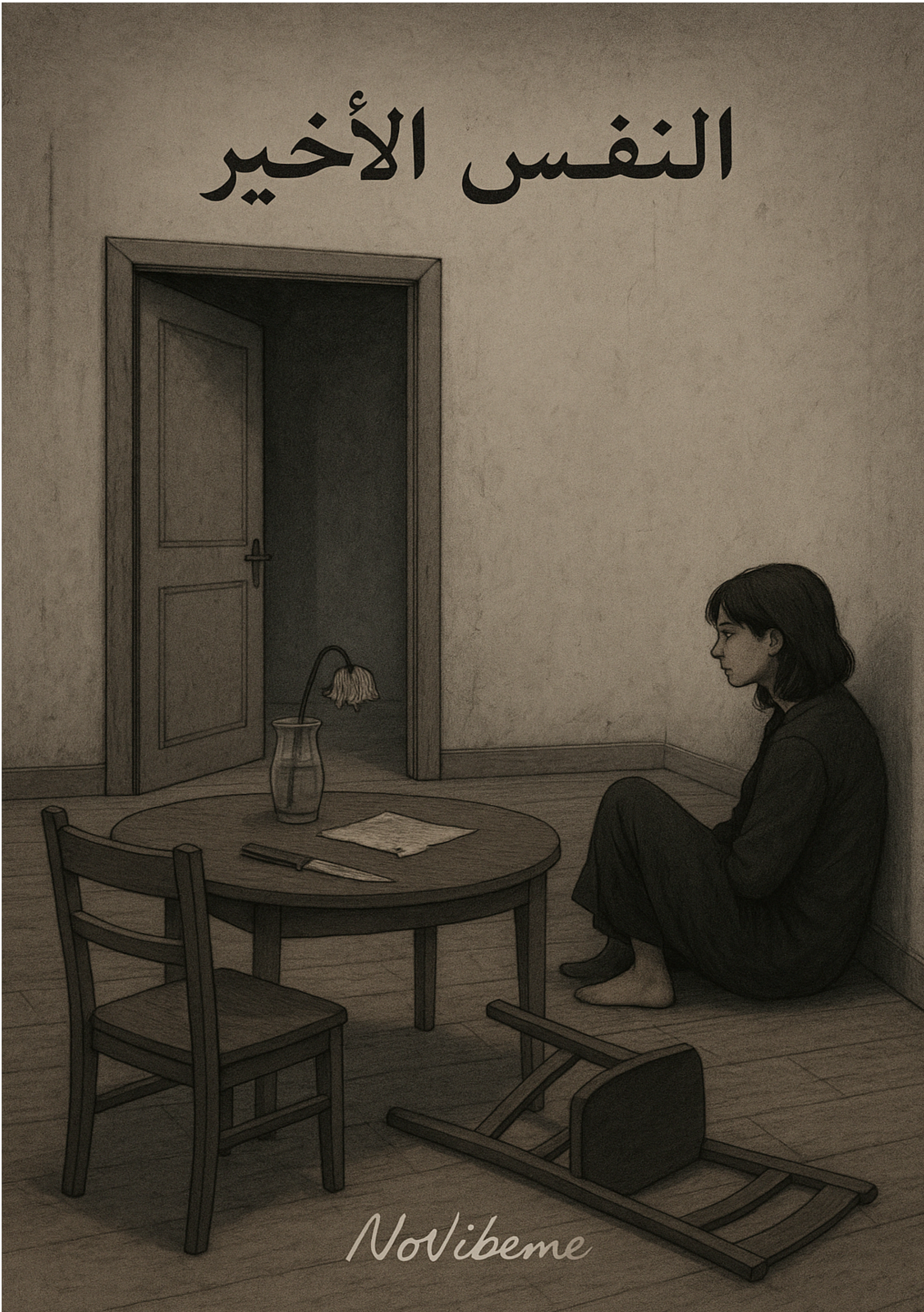
ولا يتقدّم.

فقط... يترقب بشك.

شعر بضيق المكان وقرر المغادرة. كان يحاول استرجاع نفسه, يبتعد قليلاً,

يشعر كأن عالمه بدأ ينهار من الداخل. شعور غريب جعله يرتبك قليلاً.

***


النفس الأخير
NoVibeme

7- النفس الاخيرة

لم يُطرق الباب. لم يُفتح بالمفتاح. دخل كما يدخل العابرون في الحلم... لكنه لم يكن عابراً. هذه المرة, لم ينظر حوله, لم يتفحّص المكان, لم يتأكد من شيء. هو يعرف كل شيء.

هي كانت هناك. نصف جالسة, نصف ميتة من الانتظار. أو هكذا خُيّل إليه. لكنه لم يعد يثق بما يراه.

وقف, ثم مشى, ثم توقّف... ثم تكلم:

"كنت أراقبك. لا, كنت أراقب نفسي من خلالك. كنت أختبر فكرة الذنب, كي لا أشعر بذنبي أنا."

ضحك, لكن صوته لم يتحرك. ضحكته خرجت كشرخ في زجاج:

"أردتكِ مذنبة. فقط كي أرتاح."

صمت, ثم اقترب. خطوة, اثنتان... كأن المسافة تسحب قدميه, لا إرادته.

"لكنّكِ خذلتني. حين لم تقولي شيئاً. وحين قلتِ أقل مما توقعت."

صوته لم يكن منخفضاً, لكنه لم يصرخ. كان كمن يحمل سكيناً لا يريد استخدامها... ولا يعرف كيف يضعها.

"ظننت نفسي القوي هنا, أنتِ تعلمين؟ أنا من يملك التقرير. الورقة. أنا من دخل هذا المكان وهو يعلم كل شيء..."

اقترب أكثر, نظر إليها طويلاً:

"لكني... لا أعلم شيئًا الآن. كل ما أعلمه أني مريض. ليس بما يصيب الجسد، بل بما في داخلي."

ضحك ثانية، ثم خبط الطاولة بيده:

"هل تظنين أني لم أرَ الوردة في الكوب؟ واحدة فقط... كأنكِ تختارين من هذا الخراب شيئًا قابلاً للحياة."

اقترب أكثر:

"أنا أيضاً اخترت. اخترتكِ."

صمتت.

"تظنين أنكِ صامتة؟ لا. أنتِ تملئين المكان، حتى حين لا تتحركين."

“السكين؟ لم تكن لحمايتك. كانت لتذكيري أني قد أقتل، فقط إن نسيت من أنا.”

ثم همس:

“لكني لم أقتل أحداً. حتى حين كانت لدي الأسباب. حتى حين كنت أعرف أن السكوت خيانة.”

“أنا أكره صوتي حين أتكلم الآن. هل تصدقين؟ لأنه يشبه اعترافاً تأخر خمس سنوات.”

اقترب، جلس، نظر في عينيها:

“هل أنتِ مذنبة؟ ربما. لكنني... مذنب أكثر. لأني رأيتك تسقطين، ولم أمدّ يدي، بل فتحت دفتر التحقيق.”

رفع الورقة، مزقها ببطء، كما يمزق أحدهم ذاكرة لا تنفع أحداً.

"أنا لا أريد أن أبرئكِ. ولا أريد أن أبرئ نفسي."

رفع عينيه:

"أنا أريد أن أبدأ... من جديد. لكن لا أعلم إن كان هذا مسموحاً لي حتى."

"لستُ رجلاً جيداً. ولستُ رجلاً شريراً."

ثم، بصوت شبه غائب:

"أنا فقط رجل... لا يحتمل خيبته."

سحب الكرسي، جلس، لم ينظر إليها. لم يكن يحتاج. أخرج سيجارة، لم يشعلها. لفّها بين أصابعه كأنها تفكّر بدلاً منه.

“تعلمين ما أفكّر فيه الآن؟ أنني لست في المكان الخاطئ.
بل في الزمن الخطأ.”

رفع رأسه ببطء:

“لو التقينا قبل عام، كنت سأقتلك. ولو التقينا بعد عام...
كنتِ ستنسين اسمي.”

ضحك. ضحكة ميتة:

“أما الآن... فلا أحد منا يملك رفاهية النسيان.”

وقف. خطوته كانت أهدأ من كل ما قاله. تقدّم ببطء، كأن
بينه وبين الباب بحراً.

"أنتِ تعرفين الحقيقة. وأنا أعرف أنك تعرفينها."

توقف. لم يلتفت، لكنه قال:

"وأنا... سأترك لكِ الباب مفتوحاً. لكن ليس هرباً. بل لأن لا أحد... يجب أن يُحبس في سؤال لا جواب له."

فتح الباب. الهواء كان بارداً. نظر إلى الخارج لحظة، ثم إلى الفراغ خلفه:

"لو خرجتِ... لن ألحقك. ولو بقيتِ... لن أسألك لماذا."

ثم مشى، وغاب. لم يُغلق الباب. لم يُغلق الباب أبداً.

الباب بقي مفتوحاً. الهواء دخل، مرّ فوق الجدران، زاحم رائحة القهوة الباردة والسكون المتجمد. لكنه — هذه

المرة — لم يُربك المكان. شيء أعمق من الصمت... قد تحرّك.

كانت تظن أنه لا يشعر، لا يتأثر، لا يرى. لكنها الآن تعرف شيئاً مختلفاً: الرجل الذي يغادر بهدوء، لا يغادر خفيفاً. هو لم يتركها فقط. هو ترك ثقله كله يتراكم على الهواء، على الطاولة، على الزهرة الوحيدة التي ذبلت دون أن تسقط.

ولأول مرة... هي تتكلم. بلا صوت مكسور. بلا تردد:

"لم يكن يشبه من كنت أراقبه."

نظرت إلى الكوب. الزهرة ما زالت هناك:

"ذلك الرجل... لم يكن من كان يجلس هناك كل صباح."

صمتت. ثم، همست:

"كان يشبهني أكثر مما يشبهه."

وقفت, اقتربت من الباب. لم تُغلقه. لكنها وقفت عند عتبتِه, كأنها تتحسس أثر قدميه في الهواء:

"أردته أن يبقى. لكن ليس كما بقي الآخرون."

ثم, كأنها تكلم نفسها:

"أردته أن ينهار... لكنه انهار بعيداً عني."

جلست, هذه المرة على الأرض. أسندت ظهرها إلى الجدار. عيناها نحو الفراغ, ثم قالت:

"كان عليّ أن أكرهه... لكني لم أتعلم كيف."

نظرت إلى السكين. اقتربت منها. رفعتها. كانت فيها نقطة... أصغر من أن تُرى، لكنها ليست صدفة. شُبه بالدم، لا أكثر. لكن ذلك الشُبه وحده... يكفي.

"ذلك الجرح... ربما لم يكن حادثًا. لم يكن يتألم كمن فُجع. كان يتألم كمن اعتاد أن يُنزف بوعي... كي لا ينهار دفعة واحدة."

"هو من النوع الذي لا يُشهر سكينه... بل يغرسها داخله بهدوء، كي لا يوقظ أحداً."

أغلقت يدها على نفسها. لم يكن الخوف، ولا الشفقة. كان شيء يشبه إدراكاً متأخراً لعمق الصمت الذي عاش فيه هذا الرجل.

“الذين يراقبون كثيراً... غالباً, ينهارون بصمت.”

ثم نظرت إلى الباب المفتوح:

“لكن لا أحد يسمع صوت السقوط حين يكون الداخل هو الهاوية.”

سكتت.

لكنها, هذه المرة, لم تكن ضحية. بل شاهدة على رجل... لم يُشفه الوقت, فجرّب أن يشق جلده فقط ليتأكد أنه ما زال هناك.

ولأول مرة, أرادت أن تلحق به. لكنها لم تتحرك. لأنها, أيضاً, أدركت متأخرة... أنها مذنبة بطريقة لا يعرفها هو.

إلى من قرأ حتى النهاية:

ربما لم تجد نهاية واضحة، وربما شعرت أن الأشياء انكسرت ثم صمتت… هذا ليس إهمالاً. بل لأن بعض القصص لا تُغلق، بعض الأبواب تُترك مفتوحة، عن قصد.

هذه الكلمات لم تُكتب لتشرح، بل لترافقك قليلاً، ثم تتركك أمام نفسك.

لا تسأل: من كان الجلاد، ومن كان الضحية؟ فالأدوار تتبدّل، والألم لا يحمل بطاقة تعريف.

إن شعرتَ بثقل بعد القراءة، فأنت لم تمرّ عابرًا. وهذا يكفي.

NoVibeme